كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في لقاء شركاء مركز الدراسات الجامعيّة في لبنان الجنوبيّ (CEULS)، يوم السبت الواقع فيه ١٦ أيّار (مايو) ٢٠١٥، في الساعة الثانية عشرة والنصف في استراحة « Rest House » في صيدا.

١. يبدو لي من غير اللائق نوعًا ما أن أرحّب بكم من قِبَلي ومن قِبَل الجامعة إلى هذا الإجتماع الذي يضمّ شركاء مركز الدراسات الجامعيّة في لبنان الجنوبيّ (CEULS) لأنّنا نأتي إليكم أصدقائي الأعزّاء، أنتم أسياد البيت والمؤتمنين بامتياز على هذا الجزء من لبنان، صيدا ولبنان الجنوبيّ، العزيزَين جدًّا على قلوبنا. إلا أنّ جامعة القدّيس يوسف، إذا انتقلت إلى صيدا منذ كانون الثاني (يناير) في العام ١٩٧٧، أيّ منذ ٣٨ عامًا، في خضمّ الحرب اللبنانيّة، فقد تمّ ذلك بعد نداءٍ من فعاليّات هذه المنطقة لنكون متأهّبين للإصغاءٍ إلى احتياجاتها، وتنشئة مواردها البشريّة والمساهمة في تطويرها. وهكذا تستمرّ هذه المغامرة، حيث أنّ أكثر من ٣٠٠٠ شابّ وشابّة تلقّوا تنشئتهم في مدرسة جامعة القدّيس يوسف، وهي مدرسة تتطلّب العمل المُنجَز جيّدًا وتحرص عليه، إنّها مدرسة الانفتاح الإجتماعيّ والدينيّ. لذلك أصبحت جامعة القدّيس يوسف جزءًا أساسيًّا من الحياة الفكريّة والأكاديميّة في المنطقة، ممّا يدفعني إلى أن أشيد بلائحة المدراء الذين توالوا على إدارتها، وخاصّةً المدير الأسبق الذي ترك بصماته على العقدين الأخيرين من حياة المركز، وأعني بذلك المعلّم الكبير، الأستاذ مصطفى أسعد، المعروف بمواقفه الشجاعة وكفاءته وإخلاصه وثقة الجميع في شخصه. وأودّ أيضًا أن أتمنّى للسيّدة دينا صيداني التي تولّت حمل شعلة الإدارة، النجاح التامّ في ممارسة عملها ومواصلته وإنماء هذه الثقة الأساسيّة، لكي تنجح جامعة القدّيس يوسف في رسالتها على صعيدَي التعليم والتنشئة.

٢. في هذا السياق من الثقة المتبادلة في مركزنا، أصرّ أن أحيّي التزامكم معنا، أنتم شركاء المركز وأصدقائه، فضيلة المفتي السنّي وفضيلة المفتي الشيعيّ، سيادة الأساقفة والرؤساء وممثّلي البلديّات والجمعيّات المحليّة، ورؤساء ومدراء الشركات والمصارف والمؤسّسات وبالطبع، مديري ومديرات المدارس. أوجّه إليكم الشكر، أعزّاءنا ممثّلي السلطة الإجتماعيّة والإقتصاديّة والمهنيّة، لمواصلتكم في خيار توظيف خرّيجي المركز وجامعة القدّيس يوسف، آخذين بعين الاعتبار نوعيّة تنشئتهم وإتقانهم لمهاراتهم في مجالات خيارهم. أوجّه لكم الشكر أيضًا، أعزّاءنا ممثّلي عالم المؤسّسات التربويّة المدرسيّة، من أجل نوعيّة العلاقة التي تسعون للحفاظ عليها مع المركز، عن طريق تشجيع الإجراءات التوجيهيّة نحو الأوساط الأكاديميّة

وجامعة القدّيس يوسف، وإجراء إختبارات الكفاءة في اللّغة الفرنسيّة، وكذلك في مجال الرياضة، بجعل عدد كبير من فرقكم يشاركون في البطولة السنويّة للمركز. في هذا الإطار، أنا على يقين وثقة من أنّ هذا المركز في جامعة القدّيس يوسف سيواصل تاريخه الديناميكيّ في خدمة العلم والتنشئة على الإمتياز والتفوّق، هذا التاريخ الذي اعتُبِر ويُعتَبَر، أسوةً بمراكز شمال لبنان وجنوب لبنان وزحلة والبقاع، جزءًا لا يتجزّأ من تاريخ أكبر وأعمق، هو تاريخ جامعة القدّيس يوسف التي تأسّست في العام ١٨٧٥ وتحتفل بذلك في العام ٢٠١٥ بمرور ١٤٠ عام على تأسيسها ووجودها.

٣. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، إنّه لأمر رائع أن تحتفل المؤسّسات العريقة بهذه التواريخ الرمزيّة لتتذكّر أصولها وعناصر موهبتها التأسيسيّة كما ارتآها وصمّمها الآباء المؤسّسون. نحن نحتفل بهذه التواريخ في جامعة القدّيس يوسف لا لنُثني عليها بل لننظر إلى المستقبل ونرى كيف نزوّد جامعة القدّيس يوسف بالوسائل من أجل أن تواصل رسالتها في الظروف نفسها والمتطلّبات نفسها الموجودة سابقًا، وكيف نبني مستقبل الجامعة، جامعة يسوعيّة في الشرق الأوسط، وما تستطيع أن تقدّمه هذه الجامعة في مجالات التعليم والبحث وإعادة بناء الإنسان المجروح والتراث المدمّر وخدمة المجتمع اللبنانيّ. في الفيلم الذي قمتم بعرضه للتوّ والذي يتطرّق إلى الأعوام ال١٤٠، تُعطى الكلمة إلى التاريخ بحيث يستطيع أن يسرد لنا أمثولاته وتوجّهاته المقبلة. في الواقع، في إطار مؤتمر يتعلّق برسالة جامعة القدّيس يوسف المقبلة، وهو مؤتمر أُقيم في جامعة القدّيس يوسف يومَي ٢٢ و٢٣ كانون الثاني (يناير) من هذا العام، طُرِحَت بعض المسائل والإشكاليّات كعلاقة الجامعة ب"جمعيّة رفاق يسوع" وبالفرنكوفونيّة وباللّغة الفرنسيّة وبالتعدديّة والعيش المشترك اللّبنانيّ والتفوّق الأكاديميّ وإعداد الخرّيجين في جامعتنا لمواجهة تحدّيات المهن التي سيتعاطونها واستقبال الجميع، بمن فيهم من لا يملكون الوسائل الماليّة، للدراسة في جامعة القدّيس يوسف. في الحقيقة، كان الجدل المثير يدير الجلسات بطريقة جيّدة بحضور جزء هامّ من الطلاب القدامى إلاّ أنّني، من توصيات هذا المؤتمر، سأتوقّف عند ثلاث نقاط تثير اهتمامنا جميعًا : ١) جامعة القدّيس يوسف هي جامعة بحجم الوطن اللبنانيّ، إنّها في خدمة الجميع ومن أجل جميع الشباب اللبنانيّ المنتمي إلى جميع الجماعات ومشاربها والذين يسعون إلى التسجيل فيها ويتوجّب أن يُقبل انتسابهم إليها على رغم المصاعب الماليّة التي يرزحون تحت وطأتها، ٢) إنّها جامعة يسوعيّة ومسيحيّة كاثوليكيّة تفتخر بهويّتها، فهي تغرف أساسًا، من هذا التقليد، ممارساتها التربويّة ورغبتها في خدمة الجميع، ولكنّها تسعى أن تكون مساحةً للتعدديّة والبحث عن معنى للجميع، ٣) إنّها

جامعة ناطقة باللّغة الفرنسيّة (فرنكفونيّة) في خدمة الثقافة الفرنسيّة، ولكنّها تتّجه في الوقت نفسه، منذ تأسيسها وحتّى اليوم، نحو العالم العربيّ والثقافة العربيّة. ولكنّها قرّرت أيضًا، في هذا السياق، أن تعطي مساحةً أكبر إلى اللّغة الإنكليزيّة وإلى إعداد برامج باللّغة الإنكليزيّة من أجل أن تلبّي المتطلبّات المهنيّة والشروط التي تسلّط الضوء على إنتاجات البحث العلميّ.

٤. في إطار ذكرى احتفالنا هذا بمرور ١٤٠ سنة على تأسيس جامعة القدّيس يوسف، أردنا أن ندعو إتّحاد الجامعات العربيّة الذي يضمّ ٢٣٨ جامعة لعقد مؤتمره السنويّ في حرم جامعة القدّيس يوسف. من هنا، استقبلنا ١٩٩ رئيس جامعيّ من جامعات عربيّة في حين تواجد ١٠٢ رئيس جامعيّ عربيّ فقط في عمّان للمؤتمر نفسه العام الماضي. المحطّة الرئيسيّة لمؤتمر جامعة القدّيس يوسف هذا كانت المحاضرة اللامعة التي قدّمها البروفسور غسّان سلامة، الوزير اللبنانيّ السابق للثقافة تحت العنوان التالي : "كيف يمكن أن يصبح تعليمنا العالي العربيّ قابلاً أكثر للجودة والتحسين ؟" سيصبح قابلاً للجودة حين يكفّ عن كونه نسخة عن الايديولوجيا السائدة، أكانت سياسيّة أو دينيّة، وحين يُظهر إرادة حقيقيّة للانفتاح نحو اكتساب الطالب للغة أو لغات أجنبيّة متعدّدة وحين يعطي مكانًا أكبر للمرأة ومصداقيّة أكبر للبحث النقديّ وحين يعطي تنشئة إلى متخرّجين كفؤ ليكونوا قادة وليس عاطلين عن العمل أو إرهابيّين، مع العلم أنّ ٢٧ إلى ٣٠ بالمئة من المتخرّجين العرب الشباب معرّضين لأن يكونوا عاطلين عن العمل و ٢٠ في المئة يتعاطون مهنًا صغيرة دون مستوى تعليمهم. أريد أن أقول لكم إنّ ضيوفنا كانوا بغاية السرور أن يتواجدوا في حرم جامعة القدّيس يوسف العريق، شاعرين أنّ أعضاء الهيئة الجامعيّة تبّنتهم وأنّ جامعة القدّيس يوسف، بحسب شهادتهم، هي مساحة من الحريّة الأكاديميّة والإجتماعيّة. خلال السنة القادمة، بما أنّ رئيس جامعة القدّيس يوسف سيكون رسميًّا رئيسًا للإتّحاد، سيجعل هذه البنية العربيّة الهامّة تُكمل مسار تجديدها وتولي أهميّة أكثر فأكثر لإدارة التعليم العالي العربيّ المدعوّ إلى التوسّع والتوحّد والتزوّد بالقوّة على الساحة الدوليّة. إحدى المظاهر التي أثّرت في هذا المؤتمر كانت الدعوة إلى عشاء ودّي، دعوة أطلقها إتّحاد رابطات قدامى جامعة القدّيس يوسف ممّا أثار دهشة رؤساء الجامعات العرب في اكتشاف المكانة التي يحتلّها القدامى في حياة جامعة القدّيس يوسف.

٥. لدى ذكرنا لدور قدامى الطلاّب كجزءٍ لا يتجزّأ من مجتمعنا الجامعيّ، نبلغكم أنّ فريق قدامى هذا المركز من كلّ الإختصاصات المتقاربة سيصبح قريبًا واقعًا بحيث يتمّ وضع قاعدة بيانات بالطلاب القدامى وسوف

تجري إتّصالات لايجاد لجنة تأسيسيّة لتتزوّد بالأنظمة وتبدأ في ايجاد ظروف نموّ فريق قدامى مركز الدراسات الجامعيّة في لبنان الجنوبيّ (CEULS) الذي سيكون فخر جامعة القدّيس يوسف ودعمًا لمركز الدراسات الجامعيّة في لبنان الجنوبيّ. وهكذا، نحن نفتخر بأن يتواجد بين شركائنا اليوم عددٌ كبير من طلابنا القدامى الذين يتبوّأون مناصب إداريّة هامّة في إدارة بعض مؤسّسات ومصارف المنطقة. سيرتبط هذا الفريق إرتباطًا وثيقًا باتّحاد رابطات قدامى طلاب جامعة القدّيس يوسف، ومقرّه في جامعة القدّيس يوسف ويترأسه رئيس مجلس الدولة الأستاذ شكري صادر. ولن يكون هذا الفريق حكرًا على المركز بل سيضمّ كلّ قدامى جامعة القدّيس يوسف في بيروت المتواجدين في لبنان الجنوبيّ في حال رغبوا الإنضمام إليه. بمناسبة مرور ١٤٠ عامًا على تأسيس جامعة القدّيس يوسف، سيتمّ انعقاد إجتماع عامّ وهامّ للقدامى يوم ٦ حزيران (يونيو) ويوم ريفيّ مكرّس للقدامى في ٧ حزيران (يونيو). أيّها الأصدقاء الأعزّاء، سبق وأبديتُ رأيي وقلتُ إنّ قدامى جامعة القدّيس يوسف ليسوا عنصرًا منسيًّا أو هامشيًّا من ماضينا. الخرّيج هو عنصر حيويّ وشعاعٌ ينبثق من شمس جامعة القدّيس يوسف. منذ بضعة أيّام، في بوسطن، في ١٢ من الشهر الماضي، شهر نيسان (أبريل)، وفي جامعة نورث ايسترن التي يترأسّها طالب متخرّج من جامعتنا هو البروفسور جو عون، أبديتُ الفكرة التالية : خلال هذه الأعوام ال١٤٠ من وجود الجامعة، ما هو الإنجاز الأكثر روعة والأكثر نبلاً الذي استطاعت الجامعة تحقيقه ؟ بالطبع، الجامعة تطوّرت، ب١٢٠٠٠ طالب، وكانت في خدمة لبنان الذي ساعدته على أن يولد وينمو وحقّقت إكتشافات عظيمة في مجال الأبحاث. إلا أنّ إنجازها الأروع هو أنتم، قدامى الطلاّب، لأنّكم في صميم رسالتها في التنشئة والتربية على التميّز. لذلك، هي تدعو القدامى اليوم أن يأخذوا مكانهم الطبيعيّ ويصبحوا قوّة متضامنة على الصعيد الأكاديميّ والأخلاقيّ كما على صعيد الدعم الماديّ على الأقلّ من أجل تأمين جزء من المِنَح التي يستفيد منها أكثر من ٣٠٠٠ طالب وكذلك من أجل تحقيق بعض مشاريع التنمية في جامعة القدّيس يوسف، مشاريع ستتيح المجال لايجاد خدمات جديدة من أجل تميّز وامتياز تعليمنا العالي وعلى صورة جامعة القدّيس يوسف.

٦. فيما يختصّ بمشروع التنمية، أستطيع أن أؤكّد لكم أنّه موجود وأنّ الجامعة هي بمثابة بئر عميق لا ينضب. في الواقع، في إطار تطوّر مركز لبنان الجنوبي، أودّ أن أذكر القرار الذي اتُّخِذ منذ فترة قصيرة من أجل تنمية مركز مختبرات البيوكيميا ممّا يُرجع صدى نجاح هذا البرنامج ومن أجل تلبية متطلّبات التعليم وبالتالي تخفيض التنقّلات نحو بيروت، على الأقلّ بالنسبة إلى شريحة كبيرة من الطلاّب. للسنة المقبلة،

وسعيًا لتلبية طلبات طلاب وبالغين لديهم نشاط مهنيّ أو يرغبون فقط بتثقيف نفسهم، ستعرض "الجامعة للكلّ" التابعة لجامعة القدّيس يوسف، وفي أوقات مناسبة من الأسبوع، برامج تنشئة في علم النفس والثقافات المتعدّدة والأدب العربيّ والهندسة المعماريّة وهندسة الديكور. والمركز المهنيّ للوساطة في جامعة القدّيس يوسف سيؤمّن برامج تنشئة مخصّصة للمحيط المدرسيّ وملائمة لتلاميذ في مدرستين من المنطقة على الأقلّ، بوضع منهج للوساطة للبالغين منذ بداية العام الدراسيّ في أيلول ٢٠١٦. بالإضافة إلى ذلك، سوف تُقتَرَح دورات تنشئة مستمرّة في إدارة الأعمال والعلم الإداريّ وفي علوم التربية خلال العام المقبل. على كلّ حال، نحن نصغي إليكم حتّى نُعدّ بطريقة أفضل تنشئات جديدة في خدمة منطقتكم. في هذا السياق، لطالما كان التوجّه الذي تؤمّنه السيّدة المديرة للتلاميذ في منطقة الجنوب ومن قِبَل فِرَق خدمة وحدة المعلومات والتوجيه، علامة على التقارب مع شركائنا من المؤسّسات التربويّة ونودّ أن نمضي قُدُمًا في هذا العمل الذي لم يعد عملاً هامشيًّا ولكنّه في صميم هاجسنا.

٧. أيّها الشركاء الأعزّاء، قبل الإنتهاء من عرضي، أودّ أن أتطرّق إلى مسألة جدّ مهمّة بالنسبة إلى جامعة ناطقة باللّغة الفرنسيّة (فرنكوفونيّة)، مسألة مستوى جودة اللّغة الفرنسيّة كشرطٍ مسبق للدخول إلى جامعة القدّيس يوسف. عادةً، يجب على الطالب الحصول على المستوى "أ" في اختبار التمكّن من اللّغة ليتسنّى له التطرّق إلى الدراسات وهذا الأمر ليس في متناول كلّ التلاميذ، سواء كانوا من جبل لبنان أو من منطقة أخرى من البلاد، حيث أنّ أشخاصًا أخصّائيين قاموا بتقييم هذا الإختبار على أنّه معتدل. صحيح أنّ المؤسّسات التربويّة لا تستطيع أن تكون مسؤولة عنه فالأمر يتعلّق بمعضلة امتلاك اللّغات وليس اللّغة الفرنسيّة فحسب، فالشابّ هو رهينة شبكات التواصل الإجتماعيّة التي تولي أفضليّة للبعد الصوتيّ الأكثر اختزالاً ولكنّه يعيد النظر في قواعد اللّغة الأكثر تبسيطًا. كي لا نُعيق حركة بعض الطلاب الذين يرغبون في الالتحاق بجامعة القدّيس يوسف، إخترنا في العام الماضي قبول انتساب التلامذة الذين حصلوا على المستوى "ب"، على مسؤوليّتهم، على أن يحصلوا على المستوى "أ" خلال السنة الأولى من دراستهم. أستطيع أن أبلغكم أنّ التجربة مشجّعة بما أنّ ما يقارب ١١٢ طالب من أصل ١٣٢ اجتازوا الإختبار. نواصل الخبرة ولكنّنا نتوجّه إليكم، أيّها الشركاء الأعزّاء، من أجل معاينة طريقة أفضل للعمل من أجل إعداد أفضل للتلاميذ الراغبين في التعليم العالي الفرنكوفونيّ في الدراسات الجامعيّة ومن أجل اختبار التمكّن من اللّغة الفرنسيّة. بالنسبة إلينا، في جامعة القدّيس يوسف، المسألة مسألة أساسيّة وتحدٍّ نواجهه كلّ يوم لأنّ الأمر يتعلّق نوعًا

ما بتعزيز هويّتنا، هويّة جامعة القدّيس يوسف، أو بمكوّن من مكوّنات هويّتنا. لهذا السبب، نبقى على استعداد لتوجيهكم في هذا المجال من أجل كلّ تقييم أو مساعدة في الموارد البشريّة أو الأكاديميّة، فهاجسنا يبقى تعزيز إمكانيّات ألسنيّة فرنسيّة من الضروريّ أن يكتسبها الشباب من أجل استيعابهم ومتابعتهم للبرنامج بطريقة أفضل. الآنسة دينا صيداني موجودة إلى جانبكم لتدعم إقتراحي ولتساعد في القيام بتحضيرٍ أفضل لاختبار التمكّن من اللّغة واكتسابها. تكمن سياستنا في دعم التلاميذ المتميّزين الفرنكوفونيّين الذين تبوّأوا أولى الدرجات في البكالوريا اللبنانيّة والفرنسيّة عن طريق تقديم مِنَح التفوّق لهم. من هنا، لدينا اليوم أكثر من ٨٠ طالب حصلوا على منحة دراسيّة للتفوّق، بالإضافة إلى الرياضيّين من فِرَقنا، وهناك مِنَح استحقاق قُدِّمت إلى الأوائل من الدفعات ومِنَح إجتماعيّة أُعطِيَت إلى حوالى ٣٠٠٠ طالب. عامّةً، من يتمتّع بمستوى جيّد في اللّغة الفرنسيّة يملك القدرة بأن يحسّن إمكانيّاته في اللّغة الإنكليزيّة، وهو شرط آخر تفرضه الجامعة ليحصل الطالب على شهادته. حين نذكر اللّغة الإنكليزيّة، نذكر دراسة مشروع الحصول على مناهج مماثلة باللّغة الإنكليزيّة وكان القرار قد اتُّخذ مسبقًا منذ بضع سنوات باتّخاذ هذا الإتّجاه بغية تقديم خدمة أفضل لرسالة جامعة القدّيس يوسف كإحدى أسس التعليم العالي اللّبنانيّ.

٨. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، عليّ أن أنهي مداخلتي هذه حتّى أفسح المجال للمشاركة في وليمة المحبّة، فنتناول طعام الغداء ونضع حدًّا لجوعكم. اليوم، منطقة الشرق الأوسط وأقرب بلدانها إلينا سوريا ترزحان تحت وطأة عاصفة هوجاء تسبّب الدمار البشريّ والماديّ ولا تستكين. ولذلك علينا أن نكون متيّقظين حتّى ندافع عن قضيّة لبناننا ومنطقة صيدا والجنوب، حتّى تبقى هذه المساحة الكبيرة رمزًا للوحدة والعيش المشترك والتسامح والاعتدال والحوار وبناء ثقافة الصداقة والودّ. ونحن، حين نحافظ على الحاضر، نهيّئ للأجيال الجديدة مستقبلاً مقبولاً. لذلك، علينا أن نجعل مساهمتنا أكثر فعاليّة مع أبرشيّة صيدا ودير القمر للروم الملكيين الكاثوليك، عن طريق تطوير برنامج التنشئة المستدامة في الحوار الإسلاميّ والمسيحيّ بتمديد هذا البرنامج ليطال الجمهور الجامعيّ وغير الجامعيّ وبالقيام بأعمال نموذجيّة تُظهر وحدتنا من أجل العيش المشترك. بهذا الإتّجاه، يجب علينا أن نواصل الكفاح ونجاهد من أجل القضايا العربيّة المحقّة بدل الضياع في غياهب الموت. كما يتوجّب علينا العمل من أجل تربية الثقة بالذات وبالآخر واحترام الإختلافات والتعدديّة والايمان بإله يحبّنا محبّةً متوازية لأنّنا كلّنا أبناؤه وبناته. في عامها ال١٤٠، لا يسع جامعتنا إلا تكرار تمسّكها بقيمها المئويّة حتّى يبقى لبنان وطن الحريّات والعيش المشترك والعدالة.